تلك التربية بغض النظر عن اعتبارات الوصاية العربية الحالية وبغض النظر عن العقبات والعراقيل القائمة حاليا في وجه تطبيق اي مقدار من التربية الوطنية او الثورية الفلسطينية ، وهي عقبات تغلف عادة باتهام كل من ينادي بتربية فلسطينية بالنزعة الاقليمية . وان الهدف من وضع هذا التصور هو دفع الثورة على تبنيه او تبني تصورا مماثلا له حيثما وحينما تستطيع . وتصوري للتربية الفلسطينية هو عبارة عن مفاهيم أساسية أجدها لازمة وضرورية لاي تربية فلسطينية وطنية وثورية . وقد يرى البعض ان هذا التصور ضرب من الخيال ضمن الظروف السياسية والاجتماعية الفلسطينية والعربية الحالية . قد يكون ذلك صحيحا ، ولكنه يصبح غير صحيح عندما ننظر الى المستقبل البعيد والى الاجيال القادمة متخطين الواقع العربي والفلسطيني السيء . ان هذا التصور أساسا هو نظرة تفاؤل وايمان بالمستقبل . وانا لا أرى بتاتا استحالة تطبيقه مستقبلا .

الحاجة الى تربية فلسطينية

لا بد من التحدث اولا عن دواعي وجود تربية فلسطينية قبل ان نتحدث عن شكل ومضمون هذه التربية . من الامور البدهية ان يكون لكل شعب نظامه التربوي الخاص به . ولكن هذا الامر البدهي يشكل مسألة حياة او موت بالنسبة للشعب الفلسطيني الذي يعيش خارج ارضه والذي انقسم الى مجموعات بشرية كبيرة منعزلة جغرافيا ولا يوجد تفاعل مادي يومي بينها ، وان كان يوجد بينها تفاعل عاطفي ومعنوي شديد . ان هذا التشتت الجغرافي يهدد عدة مقومات للشعب الفلسطيني كشعب واحد اهمها الشخصية الفلسطينية المميزة ، والتراث الفلسطيني ، ووحدة التصور والعمل في سبيل التحرير واعادة بناء المجتمع الفلسطيني . كل هذه المخاطر تجعل وجود تربية فلسطينية امرا ذا أهمية قصوى ، لان التربية الفلسطينية يمكن ان تلعب دورا حاسما في المحافظة على الشخصية الفلسطينية وفي احياء التراث الفلسطيني والمحافظة عليه ، وفي تحديد تصور واحد وممارسة موحدة لدى معظم الفلسطينيين حول النضال الفلسطيني والمجتمع الفلسطيني .

ومن الدواعي الاخرى لوجود تربية فلسطينية خلق او تكوين انسان فلسطيني جديد قادر على النضال الطويل وعلى المساهمة الفعالة في انجاح عملية التحرير . ان خلق الانسان الفلسطيني الذي يحمل هذه المواصفات لا يأتي ارتجالا او عفويا ، وانما يأتي عبر عملية بناء شاقة وطويلة تلعب التربية الثورية فيها دورا أساسيا . ان المجتمعات لا تتكون « بالطبيعة » وانما تخضع لعملية تكوين موجهة تتخللها صراعات وتفاعلات عديدة تصل بالنهاية الى « شكل ما » او « ترتيب ما » للمجتمع لكن هذا « الشكل » او « الترتيب » ما يلبث ان يتغير تدريجيا بفعل القوى الجديدة او ينهار كلية بفعل التغير الثوري العنيف . وبالتالي اذا اردنا مجتمعا فلسطينيا يتوجه بكليته للنضال والتحرير فلا بد من الدخول في صراع كبير مع انفسنا ومع محيطنا الخارجي لبناء مثل هذا المجتمع . ان استمرار الثورة الفلسطينية واستمرار الرفض الفلسطيني حتى الوصول الى التحرير مسألة تحتاج الى جهود في كافة المجالات بشكل عام وفي مجال التربية وبناء الاجيال بشكل خاص . فاذا اردنا انسانا فلسطينيا ثائرا علينا ان نخلق هذا الانسان . والانسان حيوان اجتماعي وهو نتاج مجتمعه او بيئته . ويتكون الانسان كحيوان اجتماعي له شخصيته وافكاره الخاصة ويتبع عادات معينة وسلوك محدد من خلال عملية « التكييف الاجتماعي » ، أي تكييف الفرد على العيش في مجتمع ما ضمن تقاليد وانماط يحددها المجتمع . والمؤسسات التي تكون مسؤولة عن عملية « التكييف الاجتماعي » تتفاوت في المجتمعات المختلفة التعقيد ، لكنها أساسا العائلة او البيت ، والمدرسة ، والكنيسة او النظام الديني ، والدولة (من خلال الجيش او الحزب) . وفي كل او بعض هذه